أمر إيڤان بأن تهيأ خيـول وعربات على نفقته للمسافرين وتتخـذ كل الإجراءات لإيصالهم الى موسكو سالمين . ولكن الرسول انتابه في رحلة الرجوع تأخير كبير « لأنه تاه وقتاً طويلاً في الطريق » ، إلا أن شانسيلور الذي كان قد اتخذ سبيله نحو الجنوب التقاه اثناء المسير ، واخذ الناس الذين استشارتهم رسالة القيصر يتسابقون ويتشاجرون من أجـل ان يكون لهـم الشرف في تكدين خيولهم الى عربة الضيف ، ولم يكن لدى شانسيلور ادنى فكرة عن المكان الذي كان يقاد اليه ، ولم يكن يخطر له على بال أنه كان يبعد مسافة تقرب من ٢٤٠٠ من الكيلو مترات . وقد وصلت هذه البعثة الى موسكو في كانون الأول ديسمبر ١٥٥٣ .

وابدى القيصر امام هؤلاء الرحالة الإنكليز كثيراً من مظاهر الترف والبذخ وبذل جهده في التأثير عليهم لأنه كان يتمتع بخيال واسع كما كان على طريقته الطليعة المبكـرة لبطرس الأكبر . كان يمتلك تلك الغريزة الخالدة لروسيا في أن تتخلص من كونها دولة نصف شرقية وان تتخذ لنفسها طابع الغرب. وبما انه كان واقعاً تحت تأثير الكنيسة والمتروپوليت سيلڤستر وأرداتشيف فإنه دفع بالحدود نحو الشرق ، ولكنه بدأ الآن يتطلع بانظاره نحو الغرب ، نحو البلطيق ونحو السيطرة العالمية . فهو لم يتخـذ لقب القيصر لولا أنه كان يشتهي الحصول على إمبراطورية واسعة ، وستبقى انكلترا الغامضة تداعب آفاق خياله حتى آخر يوم له في الحياة .

إلا ان المغامرة الشرقية كانت لا تزال مهمته الكبرى . فبعـد سفر الإنكليز بدأ التجهيز لفتح القولغـا الأدنى وتم إعـداد حملة على أمـير أستراخان . كما كان لا بد من توجيه ضربة أخـرى لوالد صوغونبيكا الذي كان لا يزال يغذي حقداً مميتاً على الروس . ولم يكن خان تتر القرم قد هيأ بعدُ قواه بعد هزيمته على يد الروس ، وبدا أن الإسلام كان خالياً من فكرة القتال .